الفضل بن الربيع الحاجب والوزير

١٣٨-٢٠٨ هـ ٧٥٥ - ٨٢٤ م

بقلم :
الدكتورة فضيلة الشامي
كلية الآداب / جامعة بغداد
قسم التاريخ

لقد زخر العصر العباسي الاول بطائفة من الشخصيات السياسية التي لم يسمح الدهر بمثلها والذي كان لها دور فعال وبارز على مسرح الاحداث السياسية الجارية آنذاك . وقد كان هؤلاء معتمد الخلفاء العباسيين لتدبير شؤونهم الادارية والسياسية . كما كانوا موضع ثقتهم ومشورتهم سواء في القضايا الصغيرة أو الكبيرة ، زيادة على ذلك فانهم كانوا عادة لم يسلكوا طريقاً دون اخذ نصحهم والاستفادة من رأيهم . وقد تمثل هذا في الفضل بن الربيع الحاجب والوزير والكاتب ايضا ، والذي ورث تلك المناصب السياسية من والده الربيع، علما بان المناصب الادارية لا تورث قط ، وكأنها تحققت فقط في عهدهم ولاول مرة، وهذا مما يلفت النظر الى ذلك اذ تولى صاحب الترجمة منصب الحجابة والوزارة مثل ابيه فلم يعين بغيرهما مطلقاً، لان والده الربيع (١) كان قد تولى الحجابة والوزارة ايضا لا غيرهما . ولانه كان من ابرز الشخصيات العربية فقربه الخليفة العباسي المنصور وعهد اليه اسمى المناصب السياسية . ومما لاشك فيه ان المنصور كان يشجع ذوى الكفاءات العربية ، اذ لم يكن للنفوذ الفارسي اى تأثير في البلاط العباسي . ومما يذكر ان تلك الشخصيتين عربيتان في الروح والنزعة والهوى (٢) . كما ان الطابع العربي كان هو الغالب على تلك النخبة من الرجال القائمين مع الخليفة العباسي على ادارة دفة الدولة.

وعلى اية حال فقد اختار الخليفة المنصور الربيع بن يونس حاجباً له (٣)، حينما تولى الخلافة. والحجابة كانت تعد وجه الخليفة امام الناس ولسانه اليهم . والحاجب بحكم منصبه يطلع على اسرار الخليفة الخاصة ويسهر على سلامته بمراقبة الحرس ، ويحضر المواكب (٤). ونظراً لما امتاز به الربيع من رجاحة العقل وحسن الحديث وكتمان السر والامانة فقد رشحه المنصور لهذا المنصب الخطير دون غيره فنجح فيه ، وادى مهمته خير اداء بدليل ان المنصور لم ينحه عن هذا المنصب طيلة حياته ، كما انه كما يظهر لنا كان يثق به ثقة عمياء حيث رقاه الى درجة الوزارة حينما عزل وزيره أبا ايوب المورياني (٥)، اضافة الى زيادة ثقته به ان جعل ابنه الفضل حاجباً له (٦). والواقع ان الربيع استطاع ان يكسب رضا المنصور لرجاحة عقله وحزمه وفطنته وكان خبيراً بالامور الحسابية ملماً بشؤون الدولة، محباً لفعل الخير، عارفاً بآداب الملوك (٧)، محدثا (٨)، كما كان من افاضل الرجال علماً وادباً وحسن خلق وسداد رأي. لم تصدر عنه اية هفوة او اساءة طيلة خلافة المنصور، لذا كان ممدحاً (٩)، كما يعرف عنه اباء النفس مثال ذلك ان المنصور دعاه يوماً فقال له : سلني ما تريد فقد سكت حتى نطقت وخفضت حتى تقلصت واقللت حتى اكثرت - فقال : والله يا أمير المؤمنين ما ارهب بخلك ولا استقصر عمرك ، ولا استصغر فضلك، ولا اغنم مالك، وان يومي بفضلك على احسن من امسي وغدك في تأميلك احسن من يومي، ولو جاز ان يشكرك مثلي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني في ذلك احد . قال : صدقت بهذا مثلك احلل هذا المحل (١٠).

والحقيقة ان الخليفة المنصور لم يكتف بتكليف الربيع الحجابة والوزارة من بعدها بل قلده نفقاته والعرض عليه (١١). ومما يدلل تكريم المنصور له ان اقطعه محلة كبيرة مشهورة ببغداد سميت بقطيعة الربيع لانه اقطعه اياها (١٢) ، وقد أثر عنه ان المنصور سأله يوماً : ويحك يا ربيع ما اطيب الدنيا لولا الموت ، فقال له : ما طابت الا بالموت ، قال : كيف بذلك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال: صدقت (١٣) .

ومما يروى عن رجاحة عقله ان المنصور قال له يوم : يا ربيع سل حاجتك ؟ قال : حاجتي يا أمير المؤمنين ان تحب الفضل ابني، فقال : ويحك ان المحبة تقع باسباب ، فقال له : قد امكنك الله من ايقاع سببها قال : ماذاك : قال : تفضل عليه فانك اذا فعلت ذلك احبك، واذا احبك احببته، قال : قد والله احببته الى قبل ايقاع السبب، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال: لانك اذا احببته كبر عندك صغير احسانه ، وصغر عندك كبير اساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان وحاجته اليك حاجة (١٤)، ويؤكد ابن خلكان (١٥) ان المنصور اذا اراد بانسان خيراً أمر بتسليمه الى الربيع.

ولم يزل الربيع حائزاً ثقة المنصور الى ان توفى المنصور سنة ١٥٨ هـ ومما يلاحظ ان المنصور لما توفى ببئر ميمون لم يحضر وفاته الا خدمه والربيع (١٦) .

ومما لاريب فيه ان الربيع استمر مخلصاً للخلافة فاخذ البيعة

لابنه المهدى . ولهذا نرى يستحجبه المهدى ، وقد جعله ساعده الايمن، وكان غالبا ما يستشيره ويأخذ برأيه. ويؤكد صاحب العقد الفريد (١٧) ان المهدى شاور أهل بيته في حرب خراسان فقال له الربيع : أيها المهدى ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة وان الاشارة ببعض مصاريف القول يسيرة ، ولكن خراسان ارض بعيدة المسافة، مترامية الشقة متفاوتة السبل فاذا ارتأيت من يحكم التدبير ويبرم التقدير، ولباب الصواب رايا قد احكمه نظرك، وقلبه تدبيرك، فليس وراءه مذهب الحجة طاعن.

وهنا نلاحظ ان الخليفة المهدى ابقى الربيع حاجباً له حتى وفاته ، ولم يستوزره رغم ثقته به ويبدو ان المهدى كان يعتبر الحجابة اقرب اليه من الوزارة لذا ابقاه بهذا المنصب، كما ارسله مع ابنه هارون الرشيد في حرب الروم فانتصرا هنالك (١٨)، أما الخليفة الهادى الذى جاء بعد المهدى فقد اختلفت ميوله معه لاسباب تعود الى شغب الجنود في بغداد بعد وفاة المهدى مستغلين بعد الخليفة الجديد عن مركز الخلافة، وقد تمادوا اكثر من ذلك اذ توجهوا نحو قطيعة الربيع فاحرقوها ، وكادوا ان يعتدوا على مركز الخلافة في بغداد لولا دعوة الخيزران زوجة المهدى الفارسية للربيع بانقاذ الموقف وتهدئة الاوضاع ـ رغم بغضها له لعروبته الاصيلة ـ فاستجاب لدعوتها واستطاع بحكمته ودرايته ان يوزع الاموال على الجنود لسنتين متتاليتين دون الرجوع الى موافقة الهادى لبعده وهو في جرجان (١٩)، ولما علم الهادى ارسل اليه يهدد بالقتل لكن تدخل يحيى بن خالد البرمكي حال دون ذلك لانه كان يوده (٢٠)، اذ نصح الربيع بارسال الفضل لاستقباله في همدان، وتقديم الهدايا له، اضافة الى ذلك فقد استقبله بنفسه وهو يصل دار الخلافة، كما افهمه سبب تصرفاته مع الجنود فقبله وزال غضبه، بل زاد في ذلك ان ولاه وزارته وتدبير اموره والاشراف على ديوان الرسائل. كل تلك الامور سرعان ما تبدلت وعاد التباغض بينهما والظاهر ان الهادى لم يكن يثق به لذا عزله عن الوزارة وخلال السنة الاولى من توليه الخلافة بعد ان انتقل الى عيساباذ (٢١) وجعله مشرفاً على ديوان الزمام فقط ، ولم يزل عليه الى ان توفي وكان ذلك عام تسعة وستين ومائة للهجرة (٢٢)، ويروى الطبرى (٢٣) ان الهادى كان ينوى قتل الربيع فلم ينفذه لانه توفي بعد مضى عدة اشهر من خلافة الهادى وقد صلى عليه الرشيد ولي عهد الهادى ، ولم يحضر وفاته الهادى أبداً.

من هذه المقدمة نتبين البيئة التى نشأ فيها الفضل بن الربيع والسمات العالية والاخلاق الراقية التى ورثها من أبيه . والواقع ان الفضل كان يعد من رجال الدهر رأيا وحزماً ودهاء (٢٤). فقد اتخذه الخليفة الهادى رغم سوء علاقته بابيه حاجباً له (٢٥)، طيلة حياته، كما جعله من اقرب الناس اليه. ويعرف عن الفضل انه كان قد برع بالكتابة (٢٦) مثل ابيه، وحينما يغيب عن بغداد كان يخلفه في الحجابة عبدالله محمد البواب (٢٧)، ويخطىء من يقول (٢٨): ان المهدى اتخذ الفضل حاجباً له اذ لم يحجب الفضل المهدى بل حجبه والده الربيع. ومهما يكن من امر فان الهادى رغم ثقته به الا انه لم يتخده وزيرا مطلقاً، وبقى الفضل بمركز الحجابة حتى وفاة الهادى وتولى الرشيد الخلافة عام ١٧٠ هـ. والجدير بالذكر ان الخليفة الرشيد ابقى الفضل على مهامه ومن هنا ندرك ان تلك الشخصية العربية الفذة قد اخلصت للخلافة العباسية كثيراً فاستحقت ان تنال مركز الحجابة حتى في عهد الخليفة الرشيد حينما صرف عنها محمد بن خالد بن برمك عام تسع ومائة للهجرة (٢٩)، وقد جعله الرشيد كاتباً له اضافة للحجابة (٣٠) لانه كان يتقن الكتابة ايضا ، كما جعله على نفقات العامة والخاصة وبادوريا والكوفة (٣١).

ومما يلفت النظر ان الرشيد كان قد خلع عليه تلك المناصب بعد وفاة امه الخيزران (٣٢) لان الخيزران كانت تحقد عليه حقداً كبيراً وتمنعه من ان يوليه بشيء (٣٣) والواقع ان مرد ذلك العداء يعود الى العصبية العنصرية فالخيزران كما هو معروف ذات اصل فارسى خلاف الربيع وابنه الفضل ذى النزعة العربية الصرفة لهذا دفعت بالرشيد ان لايعتمد عليه فاطاع الرشيد ذلك حتى وفاتها .

وعلى أية حال نجد ان الرشيد لم يكتف بتعيين الفضل للحجابة بل رفعه الى درجة الوزارة (٣٤) بعد ان وضحت لديه عنصرية البرامكة اذ ابعدهم عن السياسة نهائيا . ويبدو ان الخليفة العباسى اصبح يدرك اخطار البرامكة الفرس على الخلافة اذ ان عروبته حالت دون الاعتماد عليهم وهم الذين كانوا يسعون الى اعادة مجد الفرس الغابر. كما انه عرف ان الاعتماد على العرب كفيل بدوام حكم العباسيين وقوتهم، وقد يخطىء من يقول (٣٥) بان الفضل بن الربيع كانت له يد في ابعادهم عن السلطة . ويوضح ابن خلكان (٣٦)، الكره الذى يضمره البرامكة للفضل فيقول : انه تنازع يوماً جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد فقال جعفر للفضل يا لقيط اشارة الى ما كان يقال عن ابيه الربيع انه لايعرف نسبه وابوه ، فقال الفضل : اشهد يا أمير المؤمنين. فقال جعفر للرشيد : تراه من يقيمك هذا الجاهل شاهدا أمير المؤمنين وانت حاكم الحكام .

كما يؤيد الجهشيارى (٣٧) حقد البرامكة نحو الفضل وذلك ان الرشيد قال لجعفر قلد الفضل بريد ناحية يأخذ رزقها ويستعين به على خدمتي، فقال جعفر البرمكى بسلاسة خلقه : اختر فقال الموصل وديار ربيعة فأمر ان تكتب كتبه عليها فراح بها الى ابيه ، فلما عرضها عليه وعرفه حال الفضل وخصوصيته غضب يحيى وقال : هذه ناحية الى اخيك وقد صرفناه عن ارمينية ونصرفه عن هذه، وكان ولي خراج ارمينية وحربها ، وصرف عنها فقال ما كنت لافعل ، فقال فالموصل، فقال لا والله. فكره جعفر اغضاب ابيه ، وواقع الفضل وقرب عليه الرشيد .

من هنا يتبين لنا ان بغض البرامكة للفضل بن الربيع كان يمثل الصراع بين العرب والفرس في العصر العباسى الاول (٣٨)، ولقد تنبأ الفضل بزوالهم حينما قال فيهم (٣٩) :

عسى وعسى يثني الزمان عنانه ... بتصريف حال والزمان عثور
فتقضى لبانات وتشفى حسائف ... وتحدث من بعد الامور امور

وعلى أية حال نجد ان العلاقة بين الرشيد والفضل بقيت وثيقة اذ ان الرشيد كان يدعوه لمرافقته في ترحاله ، فقد رحل الى الحج واخذه معه فدبر اموره (٤٠)، كما صاحبه الى خراسان فكان نعم

الرفيق ونعم الوزير(٤١) ولازمه حتى وفاة الرشيد بطوس عام اثنين وتسعين ومائة للهجرة (٤٢)، وكان الرشيد يستشيره في الامور الصغيرة والكبيرة بل ذهب الى ابعد من ذلك حينما استشاره فيمن يختاره لتوليه العهد من بعده. وقد اورد الدينوري(٤٣) ان الاصمعي قال : ان الرشيد اتفق رأيه مع رأى الفضل بعد اخذ مشورته في تولية محمد الأمين العهد من بعده ، ويصير عبدالله بعد الأمين ، وتقسم الامور والجنود بينهما على ان يقيم محمد بدار الخلافة، وتولية المأمون خراسان.

ومن الجدير بالاشارة ان الخليفة الرشيد كان يناديه يا عباسى ولربما يدلل على اخلاصه للعباسيين او يريد تقريبه اليهم،وكان يحيى يحب الرشيد ويتودد الى زوجته العربية زبيدة (٤٤) كما ان الرشيد اكرمه حينما بنى منزله فوصله مال الاحواز والتى تقدر بخمسة وثلاثين الف درهم معونة له على بنائها (٤٥) .

وعلى اية حال نلاحظ ان الفضل بن الربيع يواصل جهوده في سبيل خدمة الدولة العباسية دون ملل طيلة خلافة الرشيد ، وقبيل وفاة الخليفة استدعاه معه في رحلته الى خراسان لكن الرشيد مرض فيها وتوفي بطوس (٤٦)، مما اضطر الفضل الى العودة الى دار الخلافة ليعلن البيعة لمحمد الامين . وهكذا يتبين لنا ان الفضل بقي يلازم الرشيد حتى الرمق الاخير ، ويوضح ابو الفداء (٤٧) ان الرشيد لما غشي عليه رأى الفضل على رأسه فقال يا فضل :

احين دنا ما كنت اخشى دنوه | رمتني عيون الناس من كل جانب
فاصبحت مرحوماً وكنت محسدا | فصبراً على مكروه مر العواقب
سابكى على الوصل الذى كان بيننا | واندب ايام السرور الذواهب

ومما لا شك فيه ان اصالة عروبة الفضل جعلته يؤيد البيعة للامين دون اخيه المأمون الذى كان ذا ميول فارسية بتأثير والدته لهذا التف حوله رجال حقدوا على العروبة كالفضل بن سهل وأخيه الحسن وطاهر بن الحسين وغيرهم ممن كانوا يسعون لتكون مرو حاضرة الخلافة العظمى، وتعود لخراسان عظمتها(٤٨)، والواقع ان الفضل بن الربيع اصبح من اكبر انصار الامين وقد اخذ له البيعة من الهاشميين والقواد (٤٩)، ممن وجد في خراسان، وارسل كتاب البيعة الى دار الخلافة بصحبة رجاء الخادم اذ وصلته قبل وصول الفضل الى بغداد (٥٠) ولما علم المأمون بذلك حاول منعه والتصدى له لكن الفضل بن سهل اشار عليه بان لايعترضه وخاف عاقبته (٥١) فسلم الفضل على أثر ذلك .

وعلى اية حال نجد ان الامين حينما تأكد له اخلاص الفضل اكرمه (٥٢) وقلده اموره واعماله (٥٣) والعرض عليه (٥٤) كما جعله كاتبا له (٥٥) ثم استوزره(٥٦)، كما جعل ابنه العباس حاجباً له(٥٧)، وقد زاد الامين في تكريمه ان كتب الى اخيه المأمون التنازل له عن بعض اعمال بخراسان . كما طلب من المأمون وكتب اليه ان يعيده الى بغداد .

هذا وكان يحترمه ويجله فيدعوه الميمون بن الميمون(٥٨) والشيخ، والذى يؤكد ذلك انه كتب الى المأمون كتابا يقول فيه اياك ان تنفذ رايا او تبرم أمراً الا برأى شيخك وثقة ابائك الفضل بن الربيع، ويقول له ايضا : ان امرت لاصل عسكرك بعطاء او رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم على دفاتر يتخذها لنفسه بمحضر من اصحاب الدواوين، فان الفضل بن الربيع لم يزل يتقلده مثل ذلك عند مهمات الامور، وانفذ إليَّ عند وصول كتابى(٥٩)، كما كتب الى أخيه صالح في خراسان ان يتصرف هو ومن معه برأى الفضل بن الربيع(٦٠) .

والواقع ان الفضل لازم الامين وعاضده(٦١) بل ذهب الى ابعد من ذلك ان اوعز اليه ان يعزل المأمون عن ولاية العهد ويجعلها لابنه موسى لعل ذلك حفاظاً على عروبة الخلافة ويعتقد الطبرى(٦٢) بان المأمون فيما لو انتهت الخلافة اليه سيقضى عليه لكونه من انصار أخيه الامين .

ولقد ايد فكرة الفضل بكر المعتمر(٦٣)، كما ايده علي بن عيسى بن ماهان(٦٤) القائد العربي . والواقع ان الامين رحب بها ووافق ان تكون ولاية العهد لابنه موسى بدلاً من اخيه المأمون ، وطالب عماله في الامصار تأييد ذلك، وقد اعترض صاحب ديوان الرسائل يحيى بن سليم (٦٥) حينما شاوره الامين غير ان الامين قال له : لست بذى رأى والرأى الى الشيخ الموفق والوزير الناصح « يعنى الفضل بن الربيع »(٦٦).

من هنا تجسد الخلاف الحقيقي بين الامين والمأمون حتى تطور الى صراع حربي لما علم المأمون بذلك اذ قطع عنه البريد واسقط اسمه من الطراز والضرب(٦٧)، لكن الامين لم يغض الطرف عن ذلك اذ سارع بارسال جيش يقوده علي بن عيسى بن ماهان، بعد ان ولاه امارة الجبل وهمذان واصبهان وقم ونهاوند(٦٨) حيث التقى بجيش المأمون والذى كان بقيادة طاهر بن الحسين باشارة الفضل بن سهل(٦٩) وعلى اية حال فان المعركة لم تكن في صالح الامين اذ خسر جيشه المعركة وانهزم علي بن عيسى بن ماهان ثم قتل . لكن الامين رغم فشل جيشه الا انه لم تخر عزيمته فاعاد الكرة وامر الفضل بن الربيع ان يجهز جيشاً يقوده عبدالرحمن الانبارى ولكن هذا الجيش لم يستطع المقاومة اذ قتل القائد كذلك مما اضطر الفضل الى استدعاء القائد الكبير العربي اسد بن يزيد بن مزيد الشيباني قائلا له : انت فارس العرب وابن فارسها(٧٠) وعلى أية حال نجد ان تلك الاستعدادات الحربية لم تجد نفعا اذ خسر جيش الامين امام جيش المأمون والذى كان بقيادة طاهر بن الحسين الفارسى الذى بلغ حقده ان قتل الخليفة الامين دون رضا المأمون . أما الوزير الفضل بن الربيع فانه استتر وذلك عام ١٩٦ هـ(٧١) .

وعلى أية حال نجد ان المأمون رغم انتصار جيشه الا انه لم يقدم من خراسان في هذا الوقت اذ توانى بعض الشيء ولربما كان مرد ذلك الى التأكد من استقرار الاوضاع نهائيا في بغداد، لكن النتيجة جاءت عكس ذلك فقد بايعت اهالى بغداد عمه وهو ابراهيم بن المهدى لانها اعتقدت ان المأمون سيبقى في خراسان وجعلها مركزاً للخلافة ، ومما يلاحظ ان الفضل بن الربيع كان قد شجع ابراهيم بقبول الخلافة بعد الاتصال به (٧٢)، وحينما تمت المبايعة ظهر الفضل من مخبئه حيث رسمه الخليفة الجديد بحجابته (٧٣)، لكن الاوضاع سرعان ما تغيرت ودارت الدائرة مرة اخرى في غير صالح الفضل فقد عاد جيش المأمون مرة اخرى وسيطر على بغداد حيث اختفى ابراهيم بن المهدى وكذلك الفضل بن الربيع(٧٤) . وقد جد

المأمون في طلبهما لكنه أخيراً عفا عن عمه وعن الفضل بعد ان مثل بين يديه ثم رد اليه املاكه (٧٥) فقط دون ان يمنحه اى منصب اداري حتى وفاته عام ثمانية ومائتين للهجرة (٧٦)، بعد ان عاش ثمانية وستين عاماً، وقد ترك ثلاثة اولاد هم (٧٧) محمد والعباس وعبدالله (٧٨) .

واخيراً وقبل ان انهى هذا المقال اود ان اكشف شيئا عن نشاطاته الادبية وعن علاقاته بالشعراء المعاصرين، ففي الحقيقة ان الفضل بن الربيع الحاجب والوزير والكاتب الا انه رغم ذلك فقد كان يتخذ لنفسه كتابا متعددين ، منهم داود بن بسطام وموسى بن عيسى بن يزدانيرود وعبدالله بن نعيم (٧٩) ويحيى بن سليم (٨٠) ، كما قلد ديوان الخراج علي بن الهيثم حينما استوزره الخليفة هارون الرشيد (٨١) .

ولا ريب ان طيبة اخلاقه حرضت الشعراء يمدحونه بقصائدهم وعلى راسهم الشاعر العباسى ابو نؤاس (٨٢) (الحسن بن هانى) والذى كان شعره من احب الاشعار له وقد قال ذلك جفيد الفضل ان قال (٨٣) ما مدحنا شاعر احب الينا من قول ابى نؤاس (٨٤) .

ساد الملوك ثلاثة ما منهم   ان حصلوا الا اغر قريع
ساد الربيع وساد فضل بعده   وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى   والفضل فضل والربيع ربيع

والجدير بالاشارة ان ابا نؤاس شديد الاعجاب بالفضل بن الربيع وقد قال فيه مديحا زخر ديوانه منها (٨٥)

مامن يدٍ فى الناس واحدة
كيد ابو العباس مولاها
نام الثقاة على مضاجعهم
وسرى الى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنني
من ان اخافك خوفك الله
فعفوت عني عفو مقتدر
حلت له نقم فالغاها

منها (٨٦) :

رأيت الفضل يأتي كل فضل   فقل له المشاكل والنظير
وما استغلى ابوالعباس مدحا   ولم يكثر عليه له كثير
ولم تك نفسه نفسين فيه   ليفصل بين رأييه مشير

فيه ايضا (٨٧) :

ابا العباس ما ظني بشكري   اذا ما كنت تعفو بالذميم
واني والذى حاولت مني   لمعوج دفعت الى مقيم

ويقول ابونؤاس ايضا (٨٨) :

لقد نزلنا ابا العباس منزلة   ما ان ترى الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غير غافلة   من جود كفك تأسو كلما جرحا

ويغالى ابونؤاس في مدحه بقوله (٨٩) :

يا بن ابي العباس انت الذى   سماؤه بالجود مدرار
اتتك اشعارى فاذريتها   وفيك اشعار واشعار
يرجو ويخشى حياتك الورى   كانك الجنة والنار
فقبلا منك اباك الذى   جرت له في الخير أشار

وفيه ايضا (٩٠) :

اليك ابا العباس عديت ناقتى   زيادة ود وامتحان كريم
لأعلم ما تأتي وان كنت عالما   بأنك - مهما قلت - غير مليم

ويصف ابونؤاس سماحة الفضل بن الربيع فيقول (٩١) :

يا فضل قد اودعتنى عظة   ما بعدها غلط ولا سهو
وبرئت مما تستريب به   فليهنني بك ذلك البرو
واقبل ابا العباس عذرى من   لفظ الصبى مذاقه حلو
ان ضاق عفوك وهو ذو سعة   عنى فليس بواسع عفو
انت الذى الف السماح فما   غير السماح لقلبه لهو
تغدو جميع العرض وافرة   والمال معتصر النوى نضو

ويمدح كرمه (٩٢) :

يا فضل غاية خلق الله كلهم   اذا ضربنا بجود غاية المثل
كم قائل لك من داع وقائلة   نفسى فداك ابى العباس من رجل

كما قال فيه (٩٣) :

وليس لله بمستنكر   ان يجمع العالم في واحد

والواقع ان ابا نؤاس لم يمدح الفضل فقط بل مدح ابنه العباس ايضا فقد قال فيه (٩٤) :

وان عباس مثل والده   ليس الى غاية بمسبوق
تانق الله حين صاغكما   ففقتما الناس اى تانيق
فصور الفضل من ندى وحجى   وانت من حكمة وتوفيق

وعلى اية حال فقد مدح الفضل بعض الشعراء ايضا بقولهم (٩٥)

كم من مقيم ببغداد على طمع   لولا رجاء ابى العباس لم يقم
البدر ان نظروا والبحر ان رغبوا   والحصن ان رهبوا والسيف ذو السقم

هذا ومما يلفت النظر ان الفضل بن الربيع كان يوصف بأباء النفس كريمها فقد قال له الخليفة الرشيد يوما في كلام جرى : كذبت، فقال له : وجه الكذوب لا يقابلك، ولسانه لا يخاطبك (٩٦) .

والحقيقة انه عرف للفضل بقلة الشعر ومن شعره كما ورد على لسان الصولى (٩٧) :

انى امرؤ من هاشم   بفناء معمور النواحى
اهل الهدى وذوى التقى   واولى (٩٨) البسالة والسماح
اهل المعالم والمكارم   والكمال برغم لاحى
يتالمون من الصدو   د ويصبرون على الجراح

كما انشد ايضا (٩٩)

كنت صبيا وقلبى اليوم سالى   عن حبيب يشى في كل حال
لم يكن دائما على العهد فاستبد   لت منه موافقا لوصالى

لقد عرف عن الفضل انه كان محدثا اضافة لادبه فما حدث به انه اسند الحديث عن ابيه وعن المنصور وعن جده وعن ابن عباس عن رسول الله (ص) (١٠٠)

ومن ادبه انه عاتبه بعض بنى هاشم في ركوبه بغلة فقال له : هذا مركب تطامن عن خيلاء الفرس (١٠١) وارتفع عن ذلة الحمار، وخير الامور اوسطها (١٠٢) من حكمته انه قال : من كلم الملوك في الحاجات في غير وقت الكلام لم يظفر بحاجته، وضاع كلامه، وما اشبههم في ذلك الا باوقات الصلوات لا تقبل الا فيها، ومن اراد خطاب الملوك في شيء فليرصد الوقت الذى يصلح في مثله ذكر ما اراد، ويسبب شيئا من الاحاديث يحسن ذكره يعقبه (١٠٣) كما قال : مسئلة الملوك عن احوالهم من تحيات النوكى، فاذا اردت ان تقول : كيف اصبح الامير ؟ فقل : صبح الله الامير بالكرامة. واذا اردت ان تقول :

كيف يجد الامير نفسه ؟ فقل : انزل الله على الامير الشفاء والرحمة ، فان المسئلة توجب الجواب ، فان لم يجبك اشتد عليك وان اجاب اشتد عليه (١٠٤)

لقد عاصر الفضل بن الربيع الشاعر العباسي اسحق بن ابراهيم الموصلي (١٠٥) كما عاصره الشاعر ابو العتاهية، وعايشه ايضا ابو عبيدة «معمر بن المثني التيمى النحوى» وكذلك الاصمعى وكانا يحضران مجلسه (١٠٦)

الهوامش

١ - الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن ابي فروة. واسم ابي فروة كيسان مولى الخليفة عثمان بن عفان (ابن خلكان. ابو العباس شمس الدين احمد: وفيات الاعيان. تحقيق احسان عباس. بيروت ١٩٧٧، الجزء الرابع ص ٣٧، الخطيب البغدادي: ابوبكر احمد بن علي الخطيب تاريخ بغداد بيروت، المجلد الثاني عشر ص ٣٤٣، المرزباني: ابى عبيدالله.

محمد بن عمران بن موسى، معجم الشعراء ، تحقيق عبدالستار احمدفراج القاهرة ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م ص ١٨٢. طاش كبرى زادة . مفتاح السعادة تحقيق كامل بكرى وعبدالوهاب ابو النور، الجزء الثاني ص ٢٠٣. ويرى الجهشياري (ابو عبدالله محمد بن عبدوس) في كتابه الوزراء والكتاب تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري، مصر ١٣٥٧ هـ ١٩٨٠ م. ان والده يونس كان من الشراة الخوارج، كما يضيف ان كيسان هو مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان، ويؤيده ابن خلكان في وفياته ج ٤ ص ٣٧. اما من اين جاء لقب ابى فروة فيروى ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٩ انه قيل لجده ابو فروة لانه ادخل المدينة وعليه فروة .

٢ - الجومرد : عبدالجبار، ابو جعفر المنصور، بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م ص ٢٨٧.

٣ - الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد م ٢ ص ٢٤٢ الكازروني ؟ (ظهر الدين على بن محمد البغدادي) مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد بغداد، ١٩٧٠ ص ١١٧.

٤ - الجومرد : ابو جعفر المنصور ص ٢٨٧.

٥ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٤.

٦ - المرزباني : معجم الشعراء ص ١٨٢، الزركلي ؟ (خير الدين) الاعلام، بيروت ج ٥ ص ٣٥٣. ويقول الجهشياري في الوزراء والكتاب ص ١٢٥ ان المنصور قال للربيع. قد وليتك الوزارة والعرض ووليت ابنك الفضل الحجابة

٧ - حسن: ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، الطبعة السابعة مصر ١٩٦٤ ج ٢ ص ٢٥٧، وفي حسن اخلاق الربيع راى المنصور يوما في بستانه شجيرة من شجر يسمى الخلاف فلم يدر ما هي فقال يا ربيع : ما هذه الشجرة ؟ فقال الربيع : اجماع ووفاق. وكره ان يقول خلاف. حسن ابراهيم ج ٢ ص ٢٥٨.

٨ - يؤيد السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) ذلك في كتابه تاريخ الخلفاء تحقيق محمد محي عبدالحميد القاهرة ص ٢٦٣ بان الربيع قال سمعت المنصور يقول الخلفاء اربعة ابوبكر وعمر وعثمان وعلي، والملوك اربعة معاوية وعبدالملك وهشام وانا .

٩ - يذكر ابو اسحق ابراهيم بن علي الحصري في كتابه زهر الآداب وثمر الالباب تحقيق علي محمد البجاري، مصر ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م الجزء الاول ص ٥٤١ انه قيل للعتابى امدحت احدا ؟ قال لا وليس لي على ذلك قدرة. فقيل له فقد مدحت الربيع ؟ فقال ذلك ليوم يستحق فيه المدح فقلت .

ومعضلة قام الربيع ازاءها   ليعمد ركن الدين لما تهدما
بمكة والمنصور رهن كما اتى   اخا الوحي داعي ربه فيقدما
غداة عداة الدين شاحذة المدى   اليه وغول الحرب فاغرة فما

١٠ - الهاشمي احمد. جواهر الادب القاهرة ١٢١٥ هـ ج ١ ص ٤٢١

١١ - الجهشياري. الوزراء والكتاب ص ١٢٥

١٢ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٢٩

١٣ - المصدر السابق

١٤ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٤ الجهشياري. الوزراء والكتاب ص ١٢٥ ابن العماد (ابو الفلاح عبدالحي الحنبلي) شذرات الذهب بيروت ١٣٩٩ هـ ج ٩ ١٩٧١ م ج١ ص ٢٧٤

١٥ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٢٩٥

١٦ - الصدق) (رزق الله منقريوس) تاريخ دول الاسلام، مصر ١٢٢٥ - ١٩٠٧ ج ١ ص ٩٤

١٧ - ابن عبد ربه ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي. العقد الفريد، تحقيق احمد امين واحمدالزين وابراهيم الابياري، الطبعة الثالثة القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٥ م الجزء الاول ص ١٩٣

١٨ - الطبري: (ابوجعفر محمد بن جرير) تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر الجزء الثامن ص ١٥٢

١٩ - الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ١٦٧

٢٠ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ١٨٧

٢١ - عيساباذ : وهي محلة كانت شرقى بغداد منسوبة الى عيسى بن مهدي، وكانت له قطاعا، وفيها بني المهدى قصره الذي سماه قصر السلام. ياقوت (شهاب الدين ابى عبدالله الحموى) معجم البلدان، بيروت المجلد الرابع ص ١٧٢

٢٢ - الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ١٦٧

٢٣ - تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨، وهناك روايات غير مؤكدة تقول ان الهادي سمه. الرفاعى (احمد) عصر المأمون، القاهرة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م المجلد الاول ص ٢١٠ ويوضح الطبري في تاريخه ج ٨ ص ٢٢٨، ان يحيى بن الحسين بن عبدالخالق خال الفضل ذكر ان اباه حدثه بان موسى الهادي قال. اريد قتل الربيع فما أدرى كيف افعل به فقال له سعيد بن سليم تأمر رجلا باتخاذ سكين مسموم، وتامره بقتله، ثم تأمر بقتل ذلك الرجل، قال: هذا الراى، فأمر رجلا فقال له: انه قد امر فيك بكذا وكذا ويأخذ في غير ذلك الطريق فدخل منزله فتمارض فمرض بعد ذلك ثمانية ايام، فمات ميتة نفسه.

٢٤ - طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٠٢

٢٥ - الكازروني. مختصر التاريخ ص ١٢٤ ابن العمري: (محمد بن علي بن محمد) الانباء في تاريخ الخلفاء تحقيق قاسم السامرائي، ايدن ١٩٧٣ ص ٧٤

٢٦ - ابن عبد ربه. العقد الفريد ج ٤ ص ١٧٠

٢٧ - الطبرى. تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٢.

٢٨ - لقد ذكر الكازروني في كتابه مختصر التاريخ ص ١٢٠ ان المهدى كان الفضل بن الربيع حاجبا له، كما روى الحصرى في كتابه زهر الاداب ج ١ ص ٥٠٦ ان المهدي قال للفضل: اني قد وليتك ستر وجهي وكشفه فلا تجعل بيني وبين خواصي سببا لضغنهم بقبيح ردك وعبوس وجهك، وقدم ابناء الدعوة فانهم اولى بالتقديم وثن بالاولياء، واجعل للعامة وقتا اذا دخلوا اعجلهم ضيقة عن التلبث وصرفهم عن التمكث.

٢٩ - الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٦١، الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٢٢٣

٣٠ - ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٥ ص ١٦

٣١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٢٨

٣٢ - ويؤكد الطبرى في تاريخه ج ٨ ص ٢٢٨ ان الرشيد دعا الفضل بن الربيع فقال له وحق المهدى (وكان لا يحلف بها الا اذا اجتهد) انى لاهم لك من الليل بالشيء من التولية وغيرها فتمنعني امى فاطيع امرها، فخذ الخاتم من جعفر.

٣٣ - الخضرى) (محمد) محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية مصر ١٩٧٠ ص ١٢٢

٣٤ - الكازروني: مختصر التاريخ ص ١٢٩ ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٥ ص ١١٨، دحية: (ابو علي حسن بن علي) النبراسى في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد ١٢٦٥ هـ ١٩٤٦ م ص ٣٧، نصوص ضائعة من كتاب الجهشياري لمحمد بن عبدوس الجهشياري، جمعها ميخائيل عواد، بيروت ص ١٩

٣٥ - يبين التنوخي (ابو علي المحسن بن ابى القاسم) في كتابه الفرج بعد الشدة طبعة مصر ١٢٧٥ هـ ١٩٥٥ م الجزء الاول ص ٦٨ مدى كره البرامكة للفضل لا لسبب منه يقول: ان الفضل بن الربيع سار الى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له فلم يرفع له راسا ولا قضى له حاجة فقام مغضبا، فلم يدع به ولا اكترث بغضبه. وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته. اتبعه فانظر ماذا يقول، فان الرجل ينبيء عما في نفسه من ثلاثة اماكن اذا اضطجع على فراشه واذا خلا بفرسه، واذا استوى على سرجه. قال الرجل: فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال:

عسى وعسى يثنى الزمان عنانه   بعثرة دهر والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مارب   ويحدث عن بعض الامور امور

قال فلم يكن بين ذلك وبين سخط الرشيد الا ايام يسيرة.

اما ابن الاثير (عز الدين ابو الحسن) يوضح في كتابه الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥ المجلد السادس ص ١٧٥ - ١٧٦ ان الرشيد دفع يحيى بن عبدالله بن الحسن بن علي الى جعفر بن يحيى بن خالد فحبسه ثم دعا به ليلة وساءله عن بعض أمره فقال له . اتق الله في امرى ولا تتعرض ان يكون غدا خصمك محمد (ص) فالله ما احدثت حدثا فرق له، وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله. قال فكيف اذهب ولا امن ان اوخذ فوجه معه من اداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال ما انت هذا فعله عن امرى، ثم احضر جعفرا للطعام فجعله يلقمه ويحادثه، ثم ساله عن

يحيى فقال . بحياتي فقط جعفر. فقال: لا وحياتك. وقص عليه امره وقال: علمت انه لا مكروه عنده، فقال معه ما فعلت ما عددت ما في نفس، فلما قام عنه قال. قتلني الله ان لم اقتلك، فكان من امره ما كان.

واما ابن خلكان في وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٧ وطاش كبرى زادة في مفتاح السعادة ج ٢ ص ٣٢ فيذكران ان الرشيد لما ال الامر اليه واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم، ومعارضتهم، ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم فكان في نفسه منهم احن وشحناء.

ولكن الهاشمي في جواهر الادب ج ١ ص ٩١ (الهاشمي) يذكر ان الفضل هو الذي اوغر صدر الرشيد على البرامكة حسدا لهم على منزلتهم وكذلك حسن ابراهيم في تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٦٥ يقول. ان الفضل بن الربيع اوقع بالبرامكة عند الرشيد .

٣٦ - وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨.

٣٧ _ الوزراء والكتاب ص ٢٤٩.

٣٨ _ حسن باشا دراسات في تاريخ الدولة العباسية مصر ١٩٧٥.

٣٩ - ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٧.

٤٠ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٦٩.

٤١ _ ويخطىء الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٧٧ بقوله ان الرشيد كان قد توز وعلى نفقاته وتدبير اموره الفضل بن الربيع. لأن الفضل كان وزيرا حينما توفى الرشيد

٤٢ _ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مجلد ١٢ ص ٣٤٣، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٢٧٧، الكازروني: مختصر التاريخ ص ١٢٩. وعند اليعقوبي (احمد بن ابى يعقوب) في التاريخ، النجف ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ ج ١ ص ١٦٩، ان الرشيد توفى عام ثلاث وتسعين ومائة للهجرة، وكذلك عند الدينوري في الاخبار الطوال ص ٣٩٢، وابو الفداء. عماد الدين اسماعيل في المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية الجزء الثاني ص ١٨.

٤٣ _ الاخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر، الطبعة الاولى القاهرة ص ٣٨٩

٤٤ - الجومرد عبدالجبار، هارون الرشيد، بيروت الجزء الاول ص ١٢٤

٤٥ - الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٢٨٩، وكان ينزل في الشارع الاعظم بازاء درب السقائين

٤٦ - الزركلي الاعلام ج ٥ ص ٢١٣

٤٧ _ المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٨

٤٨ - حسن الباشا دراسات في تاريخ الدولة العباسية ص ٣٧

٤٩ - اليعقوبي: التاريخ ج ١ ص ١٦٩

٥٠ - العمرى الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٨٩

٥١ _ ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ٤ ص ٣٨

٥٢ _ الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٣

٥٣ _ الصدقى. تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ٩٨ الكازروني: مختصر التاريخ ص ١٢٣

٥٤ _ الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٢٨٩

٥٥ _ ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٥ ص ١٦٥

٥٦ _ الكازروني مختصر التاريخ ص ١٣٣

٥٧ - الجهشياري. الوزراء والكتاب ص ٢٨٩

٥٨ _ المصدر السابق ص ٢٧٤

٥٩ _ المصدر السابق ص ٢٧٦

٦٠ _ ابن الاثير. الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٢٢

٦١ _ وردت في ديوان ابى نؤاس ص ٤٤٩ قصيدة تؤكد ذلك مطلعها :

لعمرك ما غاب الامين محمد — عن الامر يعنيه اذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة انها — له دون ما كان بينهما فضل
فان تكن الاجسام فيها تباينت — فقولها قول وفعلها فعل
ارى الفضل للدنيا وللدين جامعا — كما اسهم فيه الريش والفوق والفصل

٦٢ _ تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٤ كما يرى الصدقى في تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ٩٧ راى الطبرى

٦٣ - الجهشيارى . الوزراء والكتاب ص ٢٩٢ ، الطبرى. تاريخ الرسل والملوك ح ٨ ص ٢٨٤

٦٤ _ اليعقوبي . التاريخ ج ١ ص ١٧٢

٦٥ - الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٤ ، ويسميه الجهشيارى في كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٩٧ يحيى بن سليمان .

٦٦ - الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٨٤

٦٧ _ السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٩٧

٦٨ _ الطبري تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٣٨٩، الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية ص ١٦٤

٦٩ - ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٩

٧٠ - الخضري . محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية ص ١٦٤

٧١ - الزركلي . الاعلام ج ٥ ص ٣٥٣ ، ويوضح التنوخي في الفرج بعد الشدة ج ١ ص ٣٥٦ ان الفضل قال : لما استترت عن المأمون اخفيت نفسي حتى عن عيالي وولدي ، وكنت وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري وخوفي على نفسي . فتشددت في الاحتياط والتواري فأفضيت الى منزل بزاز كنت اعرفه في درب على باب المكان . وتشدد المأمون في طلبي فلم يعرف لي خبر .

٧٢ - ابن خلكان : وفياة الأعيان ج ٤ ص ٣٩

٧٣ - الجهشياري . الوزراء والكتاب ص ٣٠١

٧٤ - يروى الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب ص ٣٠٢ ان الفضل لما استتر صار زهير بن المسيب الى داره في شارع الميدان فسكنها رعاية لحرمته ولحقوق كانت بينه وبين الفضل . اراد بما جعله حفظها عليه

٧٥ - ابن العمرى . الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ١٠٠ ومما يبينه العمرى ايضا ان الفضل لما ظفروا به جاؤوا به الى المأمون ، فلما وقفت عليه عين المأمون فقام وسجد ثم رفع راسه وقال : اتدري لم سجدت . قال : نعم . قال . لماذا؟ قال الفضل شكرا الله على ظفرك بي . قال : لا والله بل شكرا لله تعالى كيف رزقني حلما اعفو به عن جرم مثلك . امض لحال سبيلك فقد عفوت عنك .

٧٦ - الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤٤ . طاش كبرى زاده . مفتاح السعادة ص ٣٠٤ لكن ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٤ ص ٤٠ يبين ان الروايات اختلفت حول مولده فقد قيل ان مولده سنة اربعين ومائة او قيل سنة ثمان وثلاثين ومائة للهجرة ووافقه ابن كثير والحافظ الدشقي في كتابه البداية والنهاية ، بيروت ، الجزء التاسع ص ١١٥

٧٧ - الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج ٩ ص ٢٦٣

٧٨ - الأصفهاني (ابو الفرج) الاغاني مجلد ٥ القسم الثاني ص ٢٠

٧٩ - نصوص ضائعة من كتاب الجهشيارى ص ٢٨٩

٨٠ - الجومرد : هارون الرشيد ج ١ ص ٢٥٤

٨١ _ نصوص ضائعة من كتاب الجهشياري ص ٥٠

٨٢ - لقد عاصر الشاعر ابو نواس الخليفة هارون الرشيد وقد نادم الخمر ، واتهم بالزندقة فحبسه الأمين وبقي فيه حتى اطلق سراحه وفي رواية الجهشياري في الوزراء والكتاب ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ عن حبسه فقد كان للفضل خال يستعرض اهل السجون ويتعدهم فدخل الى الحبس الذي هو فيه ولم يكن يعرفه فقال له . لم ياهذا انت زنديق ، فقال ابو نواس معاذ الله، فقال له فلعلك ممن يعبد الكبش : فقال له انا آكل الكبش بصوفه ، فقال له فلعلك تعبد الشمس فقال : انى اتجنب القعود فيه بغضا لها . فقال : فبأى جرم حبست ؟ فقال : لأني اتهم خلف الناس ، فقال له : ليس الأمر كذلك . قال : والله لقد صدقتك فجاء الى الفضل فقال له : ياهذا لا تحسنون جوار نعم الله بحبس الناس بغير جرم . فقال : وما ذاك فقدره الخبر ، فضحك منه وعرف محمد الخبر وشفع اليه فيه ، فأمر باستحلافه ان لا يشرب ولا يفسق ففعل ذلك .

ويضيف الجهشياري حول اتهامه بالزندقة وهو ان سليمان بن جعفر قال للأمين : هو والله ياامير المؤمنين من تيار الثنوية ، فقال له : ايشهد عليه بهذا احد ؟ فاستشهد سليمان جماعة شهد بعضهم انه وضع قدحا في يوم ممطر حتى قطر فيه قطرا كثيرا ، وقال بعد شربه اياه يزعمون انه مع كل قطرة ملكا فكم تراني قد شربت من الملائكة ؟ فوجه به الى الفضل بن الربيع وامره بحبسه مع قوم كانوا يتهمونى بالزندقة .

٨٣ - القيرواني زهر الآداب ج ١ ص ٥٤١

٨٤ - ديوان ابى نواس ص ٤٦٣ الحسن بن هاني ، تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي بيروت ص ٤٥٨

٨٥ - المصدر السابق ص ٤٥٩

٨٦ - المصدر السابق ص ٤٥٥

٨٧ - المصدر السابق ص ٤٥٨

٨٨ - ديوان ابى نواس ص ٤٥٧

٨٩ - المصدر السابق ص ٤٤٦

٩٠ - المصدر السابق ص ٤٤٨

٩١ - الديوان ص ٤٥٨

٩٢ _ المصدر السابق ص ٤٤٩

٩٣ _ المصدر السابق ص ٤٥٤

٩٤ - ديوان ابى نؤاس ص ٤٥٣

٩٥ - القيرواني زهر الآداب ج ١ ص ٥٤١

٩٦ - الجهشياري الوزراء والكتاب ص ٢٥٧

٩٧ - القيرواني زهر الآداب ج ١ ص ٥٤٥

٩٨ ـ عند المرزباني في كتابه معجم الشعراء ص ١٨٢ (بني البسالة)
٩٩ ـ المرزباني معجم الشعراء ص ١٨٢
١٠٠ ـ الخطيب البغدادي تاريخ بغداد م١٢ ص ٢٤٣ ، كما حدث بأن مروان بن ابي حفصة قد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سليم الخاسر وغيره ، فانشده مديحا فقال له : من انت ؟ فقال له شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة . فقال له المهدي : ألست القائل

اقمنا بالمدينة بعد معن
معا لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن
وقد ذهب النوال فلا نوالا

وقد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت ؟

١٠١ ـ ورد في عيون الأخبار لابن قتيبة (ابو محمد عبدالله بن مسلم) بيروت ١٣٤٣ ـ ١٩٢٥ ج ١ ص ١٦٠ (عن خيلاء الخيل) .
١٠٢ ـ ابن عبد ربه . العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٩
١٠٣ ـ القيرواني زهر الآداب ج ١ ص ٥٤٣
١٠٤ ـ ابن قتيبة . عيون الاخبار ج ١ ص ٢٢ ، الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢٩٤
١٠٥ ـ لقد اكد ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ٣ ص ٢٢٢ ذلك بأن اسحق بن ابراهيم الموصلي قال اتاني الزبير بن دحمان يوما فسألته ان يقيم عندي فقال قد ارسل الى الفضل بن الربيع وليس يمكنني التخلف عنه فقلت له :

اقم ابا العوام ويحك نشرب
ونلته مع اللاهين يوما ونطرب
اذا ما رايت اليوم قد خيره
فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

ويذكر الاصفهاني في الاغاني م ٥ ق ١ ص ١٧١ ان اسحق قال : لاعبت الفضل بن الربيع النرد فوقع بيننا خلاف فحلف وحلفت فغضب علي وهجرني فكتبت اليه :

يقول اناس شامتون وقد رأوا
مقامي واعياني الرواح الى الفضل
لقد كان هذا حضّ بالفضل مرة
فاصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولو كان لي في ذاك ذنب علمته
لقطعت نفسي بالملامة والعذل

١٠٦ ـ من النصوص الواردة في التاريخ ان العلاقة لم تكن حسنة بين الفضل بن الربيع والشاعر ابي العتاهية ويوضح الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب ص ٢٩٥ ان ابا العتاهية بعث نعلا الى الفضل بن الربيع وكتب معها

نعل بعثت بها لتلبسها
تسعى بها قدم الى المجد
لو كنت اقدر ان اشركها
جلدي جعلت شراكها خدي

كما ذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار ج ٣ ص ١٤٤ ان ابا العتاهية اختلف الى الفضل بن الربيع في حاجة له زمانا فلم يقضها له فكتب .

اكل طول الزمان انت اذا
جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا
عندك ما عشت حاجة ابدا

(١) يبين ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٤٠ ان ابا عبيدة قال لما قدمت على الفضل ابن الربيع قال لي من اشعر الناس ؟ فقلت : الراعي . قال : كيف فضلته على غيره ؟ فقلت لأنه مدعي على سعيد بن عبدالرحمن الأموي فوصله في يومه الذي لقيه فيه وصرفه فقال يصف حاله معه

وانضين تحنّ الى سعيد
طروقا ثم عجلن ابتكارا
صمدن مناحة واصبن منه
عطاء لم يكن يمده ضمارا

فقال الفضل ما احسن ما اقتضيتنا يا أبا عبيدة ، ثم غدا الى هارون الرشيد فاخرج لي صلة وامر لي بشيء من ماله وصرفني
(٢) قال الاصمعي حضرت انا وابو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع فقال كم كتابك في الخيل ؟ فقلت جلد واحد ، فسأل ابا عبيدة عن كتابه فقال خمسون مجلدة ، فقال له قم الى هذا الفرس وامسك عضوا عضوا منه وسمّه . فقال : لست ببيطارا وانما هذا شيء اخذته عن العرب فقال لي : قم يااصمعي وافعل ذلك . فقمت وامسكت ناصيته وشرعت اذكر عضوا عضوا واضع يدي عليه وانشد ما قالت فيه العرب إلى ان فرغت منه فقال خذه فخذته (ابن خلكان وفيات الاعيان ج ٣ ص ١٧٣)